# الأوذيسة

## لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

مقدمة :

هذه هي القصيدة الثانية الخالدة ، والملحمة المعجزة الكبرى ، للشاعر اليوناني الأعمى هوميروس ، نقدمها لقراء الرواية ، كما قدمنا أختها (الألياذة) لقراء الرسالة من قبل . وستكون ترجمتنا للأوديسية كترجمتنا للألياذة أي ترجمة تلخيص ؛ فقد وردت في ثنايا القصيدة نتف أسطورية لا صبر لجمهرة القراء على الالمام بها . ومن أجل ذلك آثرنا إظهار الصور الهوميرية الرائعة التي اشتملت عليها الملحمة دون الحواشي المربكة التي تتلف روعة هذه الصور

هذا ، والأوديسية مرتبطة بالألياذة ارتباطاً هيناً بحيث لا يحول بين من لم يقرأ الألياذة وبين هذه الترجمة ، وسنجتهد في شرح النقط ( القليلة ) التي تقتضي العود إلى الالياذة

* * *

## تصدير

لم تكن حرب طروادة معركة بين طائفتين من الناس فحسب ، بل كانت كذلك حرباً عواناً بين طائفتين من الآلهة : احداهما — وفي مقدمتها مينرفا ( باللا أثينا ) — تؤيد اليونانيين ؛ والأخرى — وفي مقدمتها أبوللو ونبتيون ( بوسيدون ) — تؤيد الطرواديين . وقد تناولت الالياذة ذلك الصراع الطويل الهائل الذي نشب بين الطائفتين تحت أسوار طروادة ، والذي انتهى بانهدار الطرواديين ، وغلبة اليونانيين ، وحرق طروادة وتخريبها . أما الأوديسية فتقتصر على عُقبى واحدة من عقبيات تلك الحرب ، ألا وهي عودة البطل العظيم ( أودسيوس )[1] إلى مملكته إيثاكا بعد مجازفات جمة وعقبات كثيرة اقتحمها جميعاً بعد طول الجلد والصبر الجميل ، واحتمال أذى (نبتيون) رب البحار وألد أعداء أوديسيوس .

ولقد ظلت ملحمتا هوميروس (الالياذة والاوديسية) المعين الذي لا ينضب لجميع شعراء اليونان ؛ فكلهم اتخذوا منها موضوعات دراماتهم ، وكلهم كانوا ينظرون إليها كمثلهم الأعلى الذي لا مثل لهم فوقه .

(١) Odysseus أو أوليسز Ulysses كما سماه في الالياذة

ولقد لخصنا لقراء الرسالة درامات إسخيلوس وإحدى درامات سوفوكليس ، ورأينا كيف كان هوميروس رائدها جميعاً كما كان رائد أقرانهم من قبل ومن بعد : پندار وهسيود ويوريبيدز ...

— ١ —

أنشد يا هوميروس :

وظل فى فم الأبد قيثارته المُرنّمة ، وناياه المطرب ، وعوده الآنّ ، ونغمته الحلوة الحنون : !

أنشدْ يا شاعر العُصُر الخالى

وحُمل فى الأسماع موسيقى مدوّية ، وفى العيون دموعاً جارية ، وفى القلوب رحمة ومحبة ؛ وانفح عرائس الشعر من لدنك سلطاناً ، وحكمة وبياناً ، وسريراً وصولجاناً

تغنّ يا شاعر أولمب ! !

وأرسلْ من جنتك نغمةً تنتظم الأفلاك ، ورنةً تجلجل فى الأفق ، وآهةً تزلزل قلوب الجبارين !

* * *

سقطت إليوم [1] ونزح المغير بخيله ورجله . فتعالَىْ يا عرائس الفنون فافتقدى أوديسيوس فى ذلك البحر اللجىّ بذرعه ؛ موجة تلبسه وموجة تحلمه ، لا يعرف لمملكته ساحلا فيرسو عليه ، ولا شاطئاً فيقصد إليه ... يخبط فى اليمّ على غير هدى ، ويرسل عينيه فى الماء والسماء على غير بصيرة ... زرقة متصلة فى العُلْو والسفل ، وتيه لا نهائى يخبط فى أحشائه أسطول السادة المنتصرين ...

والأقدار وحدها تعلم لم ضل أوديسيوس بجنوده فى ذلك العباب ، وقد عاد كل أقرانه إلى هيلاس بعد طول النأى وشحط الدار ، إلاّ هو وإلاّهم ، ممزقين فى دار الغربة كل ممزق ، يتجشمون المصائب والأهوال ، ويتخبطون بين موج كالجبال ، ويخلصون من بحر إلى بحر ، ومن رَوْع إلى روْع . فاذا أرسوا على أرض وظنوا أنهم نجوا ، أفزعهم فيها غير الذى رجوا ...

ولقد رقت قلوب الآلهة ، وودوا لو أدركوا برحمتهم أوديسيوس ... إلا نپتيون الجبار ، رب البحار ، الذى يضمر للبطل فى أعماقه كل كراهة وكل بغضاء ، وآلى أن يصب على رأسه كل تلك الأرزاء ...

وحدث أن كان نپتيون فى حرب مع الأثيوبيين فانهزها الآلهة فرصة سانحة ، وعقدوا مجلس الأولمب فى ذروة جبل إيدا ، وتفضل الآله الأكبر ، زيوس [2] ، فافتتح الجلسة بكلمة خاصة توجع فيها لما يلقاه بنو الانسان من صروف الحدثان ، واستطرد فذكر مأساة أجاممنون المسكين وما لقيه على يدىْ زوجه وعشيقها الأثيم إيجستوس [3] من غدر وغيلة ، ثم أنحى باللائمة على هؤلاء البشر البائسين الذين يقولون إن كل ما يصيبهم من خير وضير هو من عند الآلهة ، وما هو إلا من عند أنفسهم ... ولكن لا يفهمون :

ثم نهضت مينرفا ربة الحكمة ، ذات العينين الزبرجديتين ، فأيدت ما قال أبوها سيد الآلهة ، وأثنت عليه ، ثم ذكرت أوديسيوس ... « ذلك التعس المسكين الذى تخبّطه وصحبه البحر ، وقضى عليه — دون أقرانه جميعاً — أن يشقى هذا الشقاء الطويل ، عند عروس الماء الفاتنة كالبسو

(١) Ilium هى طروادة

(١) Zeus أو Jove أو Jupiter

(٢) عرضنا كل ذلك فى الرسالة فى المجلد الثانى من السنة الرابعة

فى جزيرة أوجيجيا ، ثمانية أعوام أو يزيد . ما ذنبه ؟ ما جريرته ؟ لماذا يُنفى هذا العبد الصالح فى أقصى الأرض يا أبى ؟ إنه خير عبادك أجمعين . أذكر كم ضحى الأضحيات باسمك ، وقدم القرابين من أجلك ، وحارب أعداءك ، وجاهد شانئيك ! لقد نمى إلىّ أن كاليپسو تحاول جاهدة أن تستميل قلب البطل ، وأن تنسيه وطنه إيثاكا . . . يالهول ! كيف يا أبتاه ! وهذه الزوجة التاعسة پنلوپ ؟ ! پنلوپ المحزونة المرزأة ! پنلوپ التى صبرت وصابرت طوال هذه السنين على ما كرثها الدهر به من بعد زوجها ؛ پنلوپ التى حافظت على طهرها وإخلاصها ؛ أتظل هكذا سجينة فى قصرها المنيف الباذخ ، ويظل هذا القصر محاصراً بعشاقها المجانين من أمراء الأقاليم ؟ ! أبى ! يا سيد الأولمب ! ألا تدرك برحمتك أوديسيوس ، وتردّه إلى وطنه ليذود هذه الكلاب التى ولغت فى حوضه وكادت تخوض فى عرضه ؟ تداركه يا أبى ؛ تداركه بعطفة واحدة منك ، وإنك على إنقاذه لقوى مكين »

واستجاب لها سيد الأولمب ، وقضى أن يعود أوديسيوس إلى إيثاكا ؛ لكنه ذكرها برب البحار نپتيون ، وذكرها بما بينه وبين البطل من تراث وثارات ، « سببها هذه الفعلة الجنونية التى فعلها أوديسيوس بواحد من السيكلوپس[1] ، أبناء نپتيون إذ اقتلع عينه الواحدة التى كان ينعم بوساطتها بزينة الحياة ... إطمئنى يا بُنَيّة وقرى عيناً ... إننا نحن الأعلون ، وسيرى نپتيون أنه لن يغلب الآلهة مجتمعة أبداً ... »

وشاعت الغبطة فى أعطاف مينرڤا ، وتضرعت إلى مولاها أن ينفذ ولده هرمز إلى جزيرة أوجيجيا ، فيأمر عروس الماء كاليپسو أن تعد مركباً عظيماً لأوديسيوس ورفاقه ليعودوا عليه إلى أوطانهم ؛ ثم ذكرت أنها ستمضى من فورها إلى إيثاكا حيث العشاق المآفين يحاصرون قصر پنلوپ ، وحيث ابن أوديسيوس المنكود ، تليماك ، يشهد خراب مملكة أبيه ولا يستطيع أن يحرك ساكنا لصغر سنه ... « إنى سألهب إحساسه ، وأفتح عينيه على ما ينبغى ... سأجعله يخرج من هذه العزلة المعيبة ليبحث عن والده ، فانه لم يعد طفلاً بعد ... »

وانطلقت مينرڤا فربطت نعليها السحريتين على قدميها الجميلتين ، وحملت رمحها العظيم الذى تقطر المنايا من سنانه ، ووضعت تاجها المرصع على رأسها الكبير ، وأطلقت ساقيها للريح ، حيث كانت بعد لحظة على مقربة من قصر أوديسيوس ، فهبطت من السماء الى الأرض ؛ وفى لمحة انقلبت فاتخذت شكل الآدميين ، وتخايلت فى جسمان الأمير منتس[1] وطيلسانه ، ثم تقدمت فدخلت ردهة القصر الواسعة ، حيث اجتمع العشاق المجانين من من أجل وليمة ، وتلفتت يمنة ويسرة ، ورأت الفتى السادر الساهم الحزين تليماك ، وقد تعقدت فوق جبينه هموم ... وهموم ، وتغضنت ملء أساريره آلام ... وآلام

وما هو إلا أن لمحها تليماك حتى أخذه من هيبتها شىء عظيم ... فهب للقائها مسرعاً ، ثم مد لها يده مصافحاً وهو لا يعرف من هى ، وقال :

(١) سيأتى ذكر ذلك فى الكتاب العاشر من الأوديسيه

(١) يروى أن منتس كان بحاراً غنياً وكان يحمل هوميروس فى رحلاته الواسعة من غير أجر ، ولذلك كافأه هوميروس بخلد اسمه بذكره هكذا فى الأوديسيه

« مرحباً مرحباً بالغريب المكرم ! هلم فشارك فى ذلك القِرى ، ولنتحدث بعدها فيما أقدمك إلينا . مرحباً مرحباً وأهلا وسهلا ! ... » وإدلف نحو الصالة الزخرفة وتبعته مينرفا ، وفى يمناها رمحها الجبار الذى يقدح من سنانه الشرر ؛ حتى إذا بلغا العمود الأكبر الذى أسندت إليه مئات الرماح ، والذى كان أوديسيوس يسند إليه رماحه وعدة حربه ، تناول تليماك الرمح وأسنده بعد جهد ، حيث برز بكل عظمته وكل جلاله بين رماح العشاق الفاسقين . وتقدم نحو أريكة وثيرة منعزلة ، وسأل منيرفا فاستوت عليها ، وكانا ثمة بمأمن من أن يستمع إليهما أحد ... وأقبلت جارية فينانة رائعة تحمل طستاً وإبريقاً من الذهب ، فصبت الماء على يدى الضيف ويدى تليماك ؛ ثم مضت فأحضرت مائدة نسقت عليها الورود والرياحين ، ونشط النادل[1] يحمل أطباق الطعام والفاكهة والحلوى ، فيأتى بها ملأى ويمضى بها فارغة ... والندمان[2] فيما بين ذلك يجذب الزق[3] إليه ويسقى ... ثم يسقى ... وشرع العشاق المجرمون بدورهم يلتهمون ما لذ لهم وطاب من آكال وشراب ... حتى إذا انتهوا شرّع فيميوس نابه وانطلق يغنى

وانتهز تليماك فرصة انصراف القوم إلى لهوهم وشرابهم فساءل الضيف قائلاً :

« يا أعز الأصدقاء ! أرأيت إلى أولئك الفساق ، لو أن رب البيت هنا أكانوا يلهون لهوهم هذا أو يفسقون فسقهم هذا ؟ كلا ! لقد كانوا إذن أسرع إلى الهرب ، منهم إلى ذاك الطرب ؛ ولكن ... أواه ! ... أين هو ! أين أوديسوس العظيم الذى انقطعت عنا أخباره ويئسنا من عوده إلى دياره . ولكن حدثنى بربك من أنت ؟ ومن أى الأقاليم قدمت ؟ ومَن رجال البحر الذين ألقوا مراسيهم عند إيثاكا ؟ أغريب أنت أيها السيد ؟ أم كنت فيما خلا من الزمان من أصدقاء أبى وأحبائه ؟ »

وقالت مينرفا ذات العينين الزبرجديتين :

« ليهدأ بالك يابنى ، فانى مجيبك على كل ما سألت . إنك ترى الآن منتس أمير ( جزيرة الطافيين ) البحّارين ، وسليل انخيالوس الكبير . ولقد أبحرنا من جزيرتنا ميممين شطر جزيرة النحاس من أجل ذلك المعدن الثمين ، وسفائننا ملقية مراسيها بالقرب من غابات ( نيوس ) . ولقد كنا وما نزال من أحب ضيفان أبيك وأودهم إلى فؤاده ، فلما سمعنا بما حل به من شدة ، وببيته من لأواء إستوحينا آلهتنا فخبرتنا أنه لابد عائد إلى وطنه سالماً غانماً ، وأنه لابد منتقم من هؤلاء الفجار الأشرار ... ولكن خبرنى بأربابك ، أفى الحق أنك لأنت ابن أوديسيوس العظيم ؟ إن ملامحك تشبه ملامحه ، وإنك لقريب الشبه منه جداً ، وإن هذا البريق الذى يشع من عينيك هو نفسه الذى كان يشع من عينى أوديسيوس ، يا للآلهة ! كم سمرت إلى أبيك قبل أن يشد رحاله إلى طروادة ! فهل يقدر لى أن أسمر إليه مرة أخرى ؟ إننى من من وقتها إلى اليوم لم أره ، وهو كذلك لم يرنى ... ما أشوقنى اليه ! ما أشوقنى إليه ! ... »

وشاع بارق من الأمل فى نفس تليماك فقال : « ويحك أيها الصديق ! إننى أنا ابن أوديسيوس ما فى

(١) النادل خادم المائدة
(٢) الندمان ساقى الشراب
(٣) الزق قربة الخمر

ذلك ريب ، والعالم كله شهيد بذلك »

ثم اختلطت الزرقة بالخضرة فى عينى ربة الحكمة وقالت : « على رسلك يا تلياخوس ! إذن فما هذه الولائم وتلك السُّمط ؟ وهذا الزحام من أين أقبل ؟ إنى لأقلب ناظرى فى القوم فلا أرى شريفاً ذا حسب يستأهل أن يُحتفى به أو يقام له وزن ! »

ويبتئس تلياك ويجيب : « أيها العزيز ... لقد هاجرت الفضيلة من هنا فى أثر المهاجر العظيم ، وكأنها آلت ألا تعود إلا معه ! وكان هو ، تداركته السماء ! يلقاها هؤلاء بنظرة واحدة تكفى لتزول منها الجبال ... وا أبتاه ! لقد أطمع العاديات فينا بطول نأيه . فيا للنوى ! إننا لا ندرى اليوم أين مقره ولا أيان مستودعه . ولو قد خر تحت أسوار إليوم لاجتمع الاغريق من كل حدب هنا ... هنا ... فى حاضرة إيثاكا ليذرفوا دموعهم من أجله ، وليقيموا له نصباً عالياً رفيع الذرى شاهق الأرواق ، وليكتبوا اسمه الكريم فى صحائف صدورهم بمداد أبدى من التبجيل ... ولكن !... وا أسفاه !... لقد انتصر انتصار الأبطال ، ثم مضى على وجهه وراء البحار وفى فجاج الثبج ، وغدونا لا نحلم الحين بنظرة مفردة منه ، ولا الأذن بلفظة عذبة من لسانه المبين ! ... تباركت يا آلهة الأولمب ! ماذا عندك من الأقضية المخبوءة لى ؟ الذئاب ! إى يا آلهة هذه الذئاب ! وحوش البرية التى اجتمعت من كل فج ... من الجزائر المتناثرة فى البحر ، ومن المدائن المترامية فى البر ... من ساموس وداشيوم وزاكنثوس ومن كل إقليم وكل مصر ... كلهم رابطون حول هذا القصر ولا يستحيون ... الفُسّاق ! الأوشاب العرابيد ! يطلبون يد الزوجة الوفية ... الأم المكلومة ... ينلوب ! ينلوب الباكية المحزونة المسدعة ! كنز أوديسيوس الذى لا يفنى ! يطلبون يدها ولا يرحمون وفاءها وبكاءها ولأواءها ... فلا تستطيع أن تردهم لعجزها ، ولا تستطيع أن تجيبهم وهى لا تدرى من أمر زوجها ... وهم طوال هذه السنين يربغون نعماء أبى ، فكهين فى أشربات وآكال ، حتى أقفر الزرع وجف الضرع ، وما أحسبهم مبقين على شىء ... حتى على ! ! »

( يتبع ) دريني خشبة


ظهر حديثا كتابا :

# الموجز فى الحادثات

(١) فرنسى وانجليزى وعربى

(٢) فرنسى وعربى مع تصوير النطق

تأليف الأستاذ محمود محمد سالم خريج التجارة العليا ببلجيون ورئيس القسم الأوروبى بدار المحفوظات العمومية بالقاهرة

كلاهما دروس عمليه لا تحتاج إلى مرشد ، الأول يأخذ بيدك عن طريق المقارنة ، والثانى يتغلب بك على عقبات النطق ، بكل منهما ٥٨ موضوعاً وافيا : مفردات ، محادثات ، رسائل ، صنوان يذللان لك جميع الصعاب ، ليس فى غنى عنهما أو أحدهما طالب أو راغب ، والكتابان مطبوعان بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر طبعاً متقناً على ورق جيد

يباعان بجميع المكاتب وثمن كل منهما ٦ قروش مجلداً ويطلبان بالجملة من مكتبة مصر بشارع الفجالة ، بمصر